كتابات المسند وكتابات الزبور في اليمن القديم

Musnad, and Zabûr Texts in Ancient Yemen

إبراهيم محمد الصلوي

Abstract

The Classical Arabian sources, such as (kităb Al-Iklìl, viii), mentioned that Himyar had two types of pre-Islamic texts. One type was called (Masānid), written in (Musnad script). The other type was called (Zubur), and was written in (Zabûr script). But those sources did not mention the differences between the two types of texts. A first reply of such queries appeared in modern period, after the deciphering of more than thousands of monumental inscriptions and number of texts written on wood.

Through comparing the script, writing-materials, language, and contents of the two types of inscriptions, this study aimed to answer the question: Why did the ancient Yemeni used two types of texts?

دخل أهل اليمن في الإسلام وأقبلوا على تَعلُّم اللغة العربية الفصحى، قراءة وكتابة من أجل فهم أمور دينهم. وحلت اللغةُ العربيةُ الفصحى وخطها بالتدريج مكان لغتهم القديمة في المستوى الرسمي ومستوى المعاملات بين الناس. واهتم علماء اليمن كغيرهم من علماء الأمصار الأخرى بعلوم اللغة العربية والعلوم الشرعية تدريسًا وتأليفًا، واهتموا أيضًا بالتأليف في علوم وفنون أخرى، ومنها أخبار ملوك اليمن قبل الإسلام وسِيَرهم وأمجادهم؛ فتوقف استخدام لغة اليمن القديم وخطها في التدوين، وأصبحت الآثار الكتابية لأهل اليمن، تقتصر على تلك التي دونت حتى فترة ظهور الإسلام. ومنذ ذلك الحين وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا، ظلت معرفتنا عن تلك الآثار الكتابية، تقتصر على أخبار وأقوال مقتضبة، حفظتها لنا بعض الكتب العربية القديمة وفي مقدمتها (كتاب الإكليل) للهمداني، وكتاب(ملوك حمير وأقيال اليمن) لنشوان بن سعيد الحميري. ومن تلك الأخبار والأقوال وصفُ امرئ القيس لِطَلَلٍ في معلقته بقوله:

لِمَنْ طَلَلٌ أبْصَرتُهُ فشجاني
كخطِ زبورٍ في عسيبٍ يمانِ[1]

وأورد ابن دريد قول شاعر:

وزَبْرُ حميرَ بينها أخبارُها
بالحميرية في عسيبٍ ذابلِ
أي أنهم كانوا يكتبون في عُسُب النخل[2]

وقال الهمداني: إن أبا نصر اليهري كان في عهده (قارئ زُبُر حمير ومساندها الدهرية)،[3] وذكر (الزُّبُرْ القبورية)،[4] و(زُبُرْ

همدان القديمة)،[٥] وقال: 'إن انساب الهميسع كانت مُزَبَّرةً في خزائن حمير'.[٦] وإنه أي الهمداني (أخذ نسبة اللغويين عنهم رواية عن زبورٍ قديم)،[٧] وقال إنه: (قرأ مسندًا في صنعاء على بعض الحجارة)،[٨] وأنشد الهمداني بيتاً لتُبَّع: قد كتبنا مساندًا في ظفارٍ وكتبنا أيامنا في الزبور.[٩]

وجاء في معاجم اللغة أن المُسْنَد خط حمير الذي كانوا يكتبونه،[١٠] وقال نشوان بن سعيد الحميري (المُسْنَد خطُ حميرَ وهو موجودٌ كثيرًا في الحجارة والصخور.[١١] أما ابن خلدون فقال:

'وكان لحمير كتابة تسمى المُسْنَد حروفها منفصلة'.[١٢] وجاء في معاجم اللغة أيضًا: زَبَرَ الكتاب يزبرُه زبْرًا: كتبَهُ، والزَّبْرُ:الكتابةُ، وزَبَرْتُ الكتاب: إذا أتقنت كتابته، والمِزْبرُ: القلم، والزبْرُ: النقش في الحجارة، والزَّبُر: طيُّ البئرِ بالحجارة. يقال بئر مزبورةٌ، وزبرَ البئرَ: طواها بالحجارة.[١٣] وذَبرَ الكتابَ يَذْبُرهُ ذبرًا: كتبهُ، والذَّبر: الكتابة مثل: الزَّبر، وأنشد الأصمعي لأبي ذؤيب:

عرفتُ الديارَ كرقم الدوا

ة يذبرها الكاتبُ الحميري[١٤]

ويستدل من هذه الأقوال والأخبار، على أن أهل اليمن كان لهم قبل الإسلام خط المسند وخط الزبور أو قُل كتابات المُسْنَد وكتابات الزبور، وأن الحسن بن أحمد الهمداني (المتوفى ٣٤٥هـ) كان يُحْسِنُ قراءة خط المُسْنَد، وأنه عاصرَ أبا نصرٍ اليهري، الذي وصفه الهمداني بأنه: 'قارئ زُبُر حمير ومساندها الدهرية'. أي أنه في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين، كان هناك بقية باقية من الناس ممن تعرف قراءة خط المُسْنَد على الأقل ولا يكتبونه. أما بالنسبة لكتابات الزبور، فقد سمع عنها الهمداني عن طريق الرواية، ولم يسبق له أن شاهد بعضًا منها. ومن المرجح أن الشاعر امرئ القيس شاهد خط الزبور مكتوبًا في عسيب نخل. أما علماء اللغة والإخباريون من خارج اليمن، فقد تحدثوا عن كتابات المُسْنَد وكتابات الزبور، نقلاً عن روايات وصلت إلى أسماعهم، ولم يسبق لأحدهم مشاهدة أي منها من قبل. هذه الأقوال والأخبار لم تقدم معلومات كافية تساعد على التعرف على لغة كتابات المُسْنَد وكتابات الزبور ومضامينها. لذلك بقيت تلك الكتابات مجهولة حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي. وهي الفترة التي شهدت بدايات اهتمام المستشرقين بالآثار والكتابات القديمة.

اكتشاف كتابات المُسْنَد وفك رموزها

ويُعتبرُ المستشرق الدنماركي كارستن نيبور، أول من لفت أنظار العلماء في أوروبا إلى كتابات المُسْنَد، وذلك خلال رحلته التي قام بها إلى اليمن عام ١٧٦٣، وفي عام ١٨١٠ زار الرحالة الألماني (سيتزن) اليمن للبحث عن النقوش التي ذكرها نيبور؛ فنسخَ خمسة نقوش من ظفار وضواحيها وأرسلها إلى أوروبا. فاستثارت اهتمام المستشرقين الأوروبيين بكتابات المسند. في عام ١٨٣٤ قام الضابط الإنجليزي جيمس ولستد، خلال زيارته إلى حضرموت بنسخ نقش من حصن الغراب الواقع غرب مدينة المكلا، وفي عام١٨٤٣، وصل الصيدلي الفرنسي أرنود إلى اليمن وتمكن من زيارة العديد من المناطق، واستنساخ ستة وخمسين نقشًا. أما الرحالة الفرنسي يوسف هاليفي، فقد استطاع بمساعدة أحد اليهود من صنعاء يدعى حاييم حبشوش أن يجوب البلاد عام ١٨٦٩ في كل اتجاه، وأن يجمع مئات النقوش، حيث تمكن المستشرق الألماني جزينيوس من التعرف على اثنين وعشرين حرفًا من حروف المُسْنَد، وقراءة ما وقع تحت يده من نقوش، وتمكن بعده تلميذه إميل روديجر من التعرف على باقي حروف المسند، وكان ذلك في الفترة من ١٨٧٠ إلى ١٨٨٠. وبهذا المنجز تمكن العلماء في أوروبا من دراسة النقوش التي وصلت إليهم ونشرها. في الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٨٩٤، قام المستشرق النمساوي

إدوارد جلازر برحلات أربع إلى اليمن تمكن من خلالها من وضع خرائط للمناطق التي زارها، وجمع ما يقرب من ألفيْ نقش عن طريق الاستنتاج، ثم قامت بعثة من المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان برئاسة ويندل فيلبس بإجراء تنقيب أثري عشوائي في مأرب، وتمنع، وحجر بن حميد وذلك بين عامي ١٩٥١–١٩٥٢؛ فتمكنت من استخراج أعداد كبيرة من نقوش المسند من محرم بلقيس بمأرب. أما فيما يخص الجهود العربية التي أسهمت في دراسة كتابات المسند، فقد قام عالم اللغات السامية المصري خليل يحيى نامي، والذي زار اليمن ضمن بعثة مصرية برئاسة الجغرافي سليمان حُزَيّن عام ١٩٣٦، بجمع ٩١ نقشًا من ناعط. قام بنشرها عام تحت عنوان 'نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها'. وقام محمد توفيق، من مصر بزيارة اليمن بين عامي ١٩٤٤–١٩٤٥، وكانت مهمته تتبع مواقع تجمع الجراد، وتمكن من أخذ صور لعدد من نقوش المسند في صرواح، ومأرب، وبراقش، ومعين، وقام بنشرها خليل يحيى نامي، في كتاب بعنوان 'آثار معين في جوف اليمن'، ثم زار اليمن عالم الآثار المصري أحمد فخري عام ١٩٤٧، وعاد بصور ١٣٩ نقشًا من مأرب والجوف، نشرها في كتاب بعنوان 'رحلة أثرية إلى اليمن'. ومن الجهود العربية في مجال دراسة كتابات المسند أيضًا ما قام به العالم الفلسطيني 'محمود الغول' من إسهام كبير في مجال دراسة لغة نقوش المسند.

تواصلت جهود الأوروبيين والعرب واليمنيين في البحث عن نقوش المسند، فبلغ عدد النقوش المنشورة حتى عام ١٩٨٠ أكثر من عشرة آلاف نقش. وبدراسة النقوش المكتشفة أميط اللثام عن معالم تاريخ اليمن القديم وحضارته. وكان كلما تم اكتشاف نقوش جديدة، توضحت تلك المعالم وتطورت معرفة العلماء والدارسين بلغة نقوش المُسند وخطها؛ فتمكنوا من تأليف كتب في نحوها وصرفها، ووضع معاجم لها وكتابة دراسات وبحوث بيَّنت علاقتها باللغة العربية الفصحى، واللغات السامية الأخرى من حيث اللغة والخط. وكان المستشرقون في دراساتهم الأولى قد أطلقوا على لغة نقوش المسند اسم 'اللغة الحميرية'، وبعد أن تبين لهم بأنها ليست لغة حمير وحدها، وإنما هي لغة سبأ، ومعين، وقتبان، وحضرموت وغيرها. لذلك أطلقوا عليها، اسم 'اللغة العربية الجنوبية'، وأطلقوا على النقوش، اسم (النقوش العربية الجنوبية).

اكتشاف كتابات الزبور

بعد اكتشاف مَا يربو على عشرة آلاف نقش من كتابات المُسْنَد ودراستها ونشرها، انصرف اهتمام العلماء والدارسين عما ذكرته الكتب العربية القديمة، بأن أهل اليمن كان لهم كتابات الزبور، الذي كانوا يكتبونه، إلى جانب كتابات المسند، لأن عدم العثور على أي كتابة منه، جعلهم يميلون إلى الاعتقاد، بأن كتابات المسند المكتشفة والمنشورة، هي نفسها كتابات الزبور. وفي عام ١٩٧٠، تم العثور على عودين من جريد النخل خلال التنقيب في خرائب الجوف، وتسربا إلى عالم النقوش محمود الغول، حيث بقيا لديه دون أن يتمكن من التعرف على الرموز المحزوزة فيهما. وقد ساد الاعتقاد في بداية الأمر، أن تلك الرموز قد تكون رموزًا هندية. وفي بداية الثمانينيات قام محمود الغول مع زملاء له من علماء النقوش بمحاولات عدة، أدت في نهاية الأمر إلى التعرف على الرموز المحزوزة في العودين، بأنها شكل من أشكال خط المسند (شكل ١). وفي الوقت نفسه كانت قد ظهرت في السوق أعواد مماثلة؛ فتلاشى ما كان قد شاع لدى علماء النقوش من اعتقاد بعدم وجود كتابات غير كتابات المسند. وفي عام ١٩٨٦ نشر الدكتور يوسف محمد عبدالله أحد نقوش الزبور كمحاولة أولى في 'مجلة اليمن الجديد– العدد الخامس والسادس'، وقدم دراسة لنقش آخر إلى 'حلقة الدراسات العربية' في جامعة أكسفورد عام ١٩٩٠، ونشر نقشًا ثالثًا عام ١٩٩٤.[١٥] وفي العام نفسه تم نشر عشرين نقشًا من نقوش الزبور في كتاب بعنوان

'نقوش خشبية قديمة'، وهناك مجموعة كبيرة منها في المتحف الوطني بصنعاء، ومجموعة صغيرة في المتحف الحربي بصنعاء. ومن خلال دراسة عدد منها دراسة علمية، من حيث الخط، واللغة، والمضمون ونشرها، ثبتَ لعلماء النقوش بأنهم أمام كتابات أخرى من كتابات أهل اليمن القديم غير كتابات المسند. وهي كتابات محزوزة في أعواد من جريد النخل، سَماها امرؤ القيس في معلقته (خط زبورٍ في عسيبٍ يمانٍ)، وفي أعواد من خشب شجرٍ آخر، وأن الهمداني كان محقًّا حين فرَّق بين نوعين من الكتابات، سماهما (زُبُر حمير ومساندها الدهرية). ومازال هناك أعداد كبيرة منها قيد الدراسة، وأعداد أخرى يتم اكتشافها بين الحين والآخر، ومنها المجموعة الكبيرة التي تم العثور عليها خلال أعمال حفر بئر ماء في منطقة مقولة بسنحان جنوبي صنعاء عام ٢٠٠٧، وهي قيد الترميم في المتحف الوطني بصنعاء. ولا يُستَبْعَد أن يتم العثور على كتابات بخط الزبور، مدونة على الجلد.

بين كتابات المُسْنَد وكتابات الزبور

إن اكتشاف كتابات المسند وكتابات الزبور، أكد لعلماء النقوش القديمة، أنَّ الهمداني كان محقًّا في قوله بأن حمير كان لها (زُبُر) و(مَسَاند دهرية). ويعني أن أهل اليمن القديم كان لهم نوعان من الكتابات هما: كتابات المسند، وكتابات الزبور. وبإجراء مقارنة بينهما، من حيث الخط واللغة والمضمون، (شكل ١) يمكن التوصل إلى معرفة علاقة كل منهما بالآخر، وكذلك معرفة الغرض من استخدام أهل اليمن القديم لكل منهما. فمن حيث الخط، فإن كتابات المسند دونت على مواد صلبة، هي أحجار مقطوعة ومسوَّاة، وصخور، وألواح من الأحجار والبرونز، أعدت لهذا الغرض. وكان التدوين يتم عن طريق أشكال هندسية متناسقة الأبعاد والأطوال، خطوطها مستقيمة، أو تميل إلى الانحناء، بقدر ما تسمح مادة الكتابة الصلبة بذلك. وكان يقوم بذلك العمل كتَّابٌ مهرة،

الزبور	مُسْنَد	العربية
		أ
		ب
		ت
		ث
		ج
		ح
		خ
		د
		ذ
		ر
		ز
		س
		ش
		ص
		ض
		ط
		ظ
		ع
		غ
		ف
		ق
		ك
		ل
		م
		ن
		هـ
		و
		ي
		س٢

(شكل ١) مقارنة كتابة المسند بكتابة الزبور.

يتقنون قطع الأحجار، ونحتها، وتسويتها، وتشكيلها، وزخرفتها، ونقش الكتابات عليها بخط غائر أو خط نافر. أما كتابات الزبور، فقد دونت بخط ألين من خط المسند، تميز بإمكاناته المتعددة، في التوصيل والحركة السريعة، والتشكل بحسب قدرات الكاتب، وسهولة نقشه على جريد نخل ليِّن أو عود من خشب مماثل (شكلي ٢، ٣). وقد يكون من الكتابة المجودة التي يتألق فيها الكاتب، كما أنه يكون من الخط الغفل السريع، الذي لا إتقان فيه. فإذا كان كاتب خط المسند، يحتاج إلى أزميل أو آلة معدنية حادة الطرف لينقش بها كتابته على الحجر، فإن كاتب خط الزبور قد يحتاج إلى عود خشب يشبه اليراع، ويثبت في أحد طرفيه قطعة معدنية طرفها حاد، أو يحتاج إلى قطعة من العاج، تتخذ شكل القلم، ويبري أحد طرفيها الصلب (شكل ٤) ليكون صالحًا للحفر على سطح جريد النخل الليّن، أو أي خشب مناسب.[١٦] ويستدل من حديث الهمداني عن بعض الأنساب، بأنها مُزبَّرة في خزائن حمير، على أن اليمنيين القدماء استخدموا الجلد للتدوين عليه بخط الزبور أيضًا.

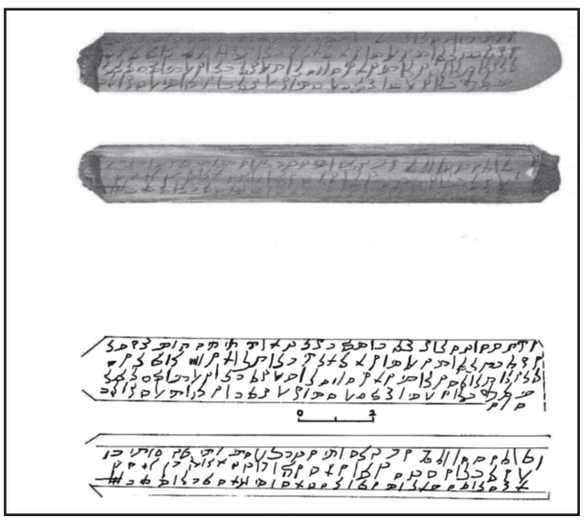

(شكل ٢) نقلاً عن كتاب نقوش خشبية قديمة، صفحة ١٠٢.

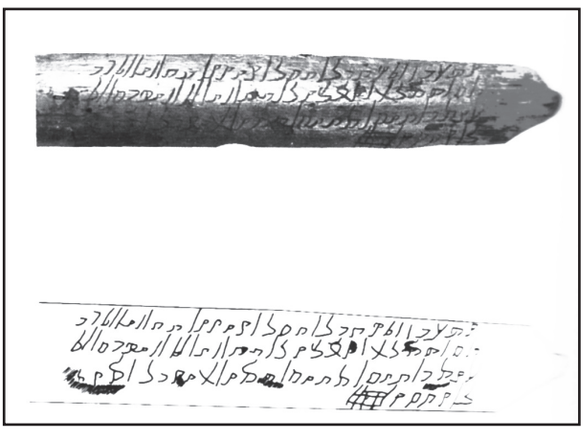

(شكل ٣) نقلاً عن كتاب نقوش خشبية قديمة، صفحة ٨٤.

ومن حيث أسلوب الكتابة فإن كلمات كتابات المسند وكتابات الزبور كانت تكتب بحروف منفصلة، ويفصل بين الكلمة والأخرى بخط مستقيم، وتطرح حروف المدّ الثلاثة (مدّ الفتح، مدّ الكسر، مدّ الضم) من وسط الكلمات ومن آخرها لأن رموز الكتابة المستعملة تعبر عن الحروف الصامتة، وعددها ٢٩ رمزًا، ولا توجد رموز تعبر عن الصوائت والتشديد. وكانت الكتابة تتجه من اليمين إلى اليسار في المسند والزبور، وانفردت بعض كتابات المسند، التي تعود إلى عهد مكاربة سبأ بأن الكتابة فيها كانت تتجه من اليمين إلى اليسار والعكس، أي كخط المحراث.

ومن حيث اللغة فإن كتابات المسند تصنف إلى مجموعات، وكل مجموعة منها دونت بواحدة من لهجات اليمن القديم، وهي السبئية، والمعينية، والقتبانية،

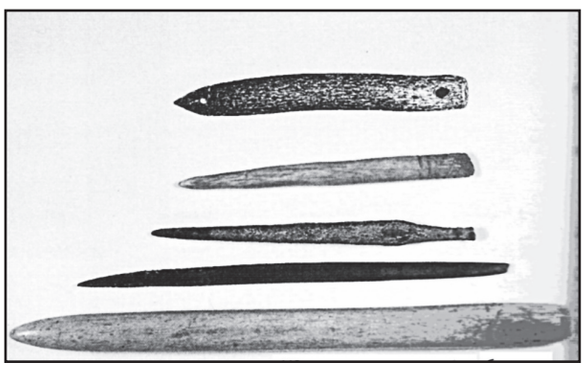

(شكل ٤ نقلاً عن كتاب نقوش خشبية قديمة، صفحة ٧٩.

والحضرمية، والهرمية. وهذه اللهجات تشترك فيما بينها في كثير من خصائص النحو، والصرف، والمفردات، وتنفرد كل واحدة منها عن الأخرى في بعض الخصائص اللغوية والمفردات الخاصة بها.

من المعروف أن العدد الأكبر من كتابات المسند دُوِّن باللهجة السبئية، وهي أكثر اللهجات انتشارًا ومعرفة لدى السكان في كثير من مناطق اليمن القديم. وقد لاحظ علماء النقوش القديمة أن لغة كتابات المسند، تكاد تخلو من ضمير المتكلم والمخاطب. ويكثر فيها استخدام ضمير الغائب. وذلك بسبب أنها تتحدث عن موضوعات وثائقية تذكارية لا تتطلب استخدام ضمير المتكلم والمخاطب وأنَّ كتابها أشخاص آخرون غير أصحاب تلك الكتابات.

أما كتابات الزبور المنشورة وأخرى قيد الدراسة، فإنها دونت بلغة تشترك مع لغة كتابات المسند في كثير من خصائص النحو، والصرف، والمفردات. غير أن كتابات الزبور تحوي مصطلحات ومفردات وتعابير، قلَّ أن ترد في كتابات المسند وقد يعثر فيها على تعابير ومفردات مما يجري على ألسنة العامة لأن موضوعاتها تخص حياتهم. وتتطلب استخدام ضمير المتكلم والمخاطب أكثر من استخدامها في كتابات المسند.

ومن حيث المضمون، فإن مضامين كتابات المسند تشتمل على موضوعات تدور حول مجالين رئيسين هما: الحياة العامة والحياة الخاصة. وهذه الموضوعات تخص:

- النذور والقرابين.
- منجزات عامة، ومنجزات خاصة (مباني، منشآت زراعية وريًّا....).
- تشريعات وقوانين.
- ممارسات شخصية.
- ملكيات عامة وملكيات خاصة.
- حملات عسكرية.

ويكتنف ذلك كله إطار عام، هو الإطار الديني وعالم الآلهة. وهذا يعني أن المنجزات العامة، والخاصة، والتشريعات، والقوانين، والممارسات الشخصية وغيرها، ينبغي أن تتم برعاية الآلهة وبركاتها.

أما مضامين كتابات الزبور، فإنها تدور حول موضوعات، تخص الحياة اليومية والعملية للناس والمعاملات بينهم. وهذه الموضوعات تخص:

- رسائل شخصية بين الناس.
- صكوك مالية.
- سجلات بأسماء أشخاص وبطون.
- معاملات بيع وشراء ورهن.
- اتفاقات مشاركة في زراعة أرض، أو مشاطرة في تربية مواشٍ.
- توزيع المياه على أرض زراعية.

واستنادًا إلى ما سبق عرضه، فإن كتابات المسند دونت حفرًا على أحجار مسواة وغيرها، تثبت في جدران المباني العامة، والخاصة، وعلى أسوار المدن، والقلاع، والحصون، ومنشئات الزراعة، والري، وداخل المعابد بهدف إطلاع الناس على مضامينها من ناحية وإشهارها وتخليدها من ناحية أخرى. ويدل ذلك على أن كتابات المسند خصصت لمضامين وثائقية تذكارية، وأن الاسم 'مُسند' في لغة تلك الكتابات لا يعني 'نقشًا، نصًا'، يحمل مضمونًا عاديًّا. وإنما يعني 'نقشًا ، نصًا'، يحمل مضمونًا وثائقيًّا تذكاريًّا، وهو مشتق من الجذر 'سَنَدَ' بمعنى 'وَثَّقَ، عضد، دَعَمَ'، ولا يعني 'دَوَّن، كتبَ'. والدليل على ذلك، أن نقوش المسند، التي تشتمل على صيغة 'ذن/م س ن د ن'، بمعنى 'هذا المُسْنَد'، لم يستعمل كاتبها الفعل 'سَنَدَ'، قبل

هذه الصيغة، بل إنه استعمل الفعل 'سطر'، بمعنى 'كتبَ، دَوَّن'. وعلى سبيل المثال، جاءت الجملة 'ت س ط ر و/ذ ن /م س ن د ن'، بمعنى 'كتبوا هذا المسند'، في النقش 'جام ١٠٢٨'. والجملة 'س ط ر و/ذ ن / م س ن د ن'، بمعنى 'كتبوا هذا النقش'، في النقش 'كوربوس ٦٢١'، وعلى سبيل المثال، وردت صيغة 'ذ ن/م س ن د ن'، في بداية النقش 'ريكمنز ٥٨٦'، الذي يتحدث عن قيام 'كرب إل وتار بن ذمار علي مكرَّب سبأ'، بمراسم عملين هامين، يتم إنجازهما عادة، عند اعتلاء سدة الحكم، في عهد مكاربة سبأ، وهما:

١- الصعود إلى قمة جبل اللوذ الواقع في منطقة الجوف، وإقامة حضرة دينية للمعبود عثتر، وإشعال النار له في موضع يسمى (ترح) اعترافًا بقدسيته.[١٧]

٢- تنظيم فئات المجتمع أو القبائل بحيث يكون لكل منها معبود وحامٍ وعهد وميثاق.

والهدف من تدوين هذا النقش، هو توثيق مراسم هذين العملين الهامين، وإشهارهما وتخليدهما.

أما كتابات الزبور، فإنها كانت مخصصة لموضوعات تخص الحياة اليومية والعملية للناس والمراسلات والمعاملات بينهم، لسهولة تبادلها بين الناس، وحفظها في بيوتهم، و متاجرهم، أو معابدهم، وحملها من بلد لآخر لأن جريد النخل أو عودًا من خشب مماثل، قد لا يتجاوز، طوله السّيجار وسمكه، وقد يكون أقصر منه، والاسم الذي عُرِفَت به هذه الكتابات في اليمن قبل الإسلام، قد حفظته لنا عدد من الكتب العربية القديمة، وهو 'زبور' والجمع 'زُبُر'، بمعنى 'كتاب'، و'كُتُب'، و'صحيفة'، و'صُحُف'. كما أن بعض كتابات الزبور المنشورة نفسها قد اشتملت على الفعل 'زَبَرَ' بمعنى 'كتبَ'، والاسم 'زبور' في القرآن الكريم، مشتق من هذا الجذر،[١٨] ولا علاقة له بالاسم 'مزمور'، بمعنى 'ترنيمة، ترتيلة، أنشودة'، المشتق من الجذر 'زَمَرَ'، بمعنى 'أنْشَدَ، رتَّلَ، غنَّى ' في اللغة العبرية واللغة السريانية.[١٩]

نشأة خط المسند وتطوره

ثبت لعلماء النقوش القديمة أن كتابات المسند وكتابات الزبور قد دونتا بخط واحد، وهو خط المسند، لكن المواد الصلبة، وهي الأحجار، والبرونز، والمواد اللينة، وهي جريد النخل وأعواد خشب مماثل قد شكلت الحروف في كل من كتابات المسند وكتابات الزبور. وعند الكتابة عليها تتخذ أشكالاً تناسب طبيعة هذه المواد، وحركة يد الكاتب، وقدراته على التشكيل. إلا أنه في نهاية الأمر، استعمل في تدوينها خط واحد، وهو خط المسند، الذي سوف نحاول التعرف على نشأته وتطوره من خلال هذه السطور ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، وثبتَ لعلماء النقوش القديمة أن خط المسند استعمل كذلك في تدوين النقوش المكتشفة في الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية الممتد من الإحساء إلى عمان، وذلك بلغات محلية متعددة، كما أنه استعمل في تدوين نقوش قرية ذات كاهل 'قرية الفاو اليوم'، الواقعة على الطريق التجاري الممتد من نجران إلى الإحساء.

وبالنسبة لنشأة خط المسند، فإنه يصعب على الباحثين الحديث عن البدايات الأولى لاستعماله في اليمن القديم، ولعل السبب يرجع إلى عدم توافر شواهد كتابية نتيجة لغياب حفريات وتنقيبات آثارية واسعة.

اعتمد الباحثون في دراساتهم لخط المسند على آثار كتابية جمعها علماء الآثار واللغات القديمة من مواقع آثار في عدد من مناطق اليمن خلال زيارات متكررة لها، أو من مواقع آثار تم الحفر والتنقيب فيها بشكل محدود، ومن المعروف أن عدد النقوش المكتشفة حتى اليوم قد بلغ أكثر من عشرة آلاف نقش يعود أقدمها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وكان خطها قد بلغ مستوىً رفيعًا من الإتقان

على أيدي كتاب مهرة مما يوحي بأن هناك مرحلة سابقة طويلة، قد مرت بها الكتابة في اليمن القديم قبل القرن الثامن قبل الميلاد لا نعرف مداها.

ومع ذلك فإن هناك شواهد كتابية وجدت مدونة على كسرات بعض الأواني الفخارية التي عثر عليها خلال الحفر والتنقيب في كل من منطقة 'هجر بن حميد' بوادي بيحان، ومنطقة 'يلا' جنوب مدينة مأرب و'ريبون' في حضرموت؛ ففي منطقة هجر بن حميد بوادي بيحان، عثرت البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان خلال التنقيب الأثري فيها على كسرات أوان من الفخار، دُوِّن على إحداها مونوجرام بخط المسند مؤلف من أربعة حروف (ك هـ ل م) (شكل ٥). وبعد فحص ذلك الفخار ومقارنته بنظائره في فلسطين وغيرها، تبين للبعثة أنه يعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد. كما أن الشكل الفني المتطور الذي اتخذه المونوجرام أكد على أن الخط كان قد بلغ مرحلة متقدمة من الإتقان والتشكيل الفني في تلك الفترة. وهناك أوان من الفخار عثرت عليها البعثة الإيطالية في منطقة 'يلا' جنوب مأرب (شكل ٦)، كما عثرت البعثة الروسية على فخار مماثل في منطقة 'ريبون' بحضرموت (شكل ٧). وقد وجد على كسرة من فخار منطقة 'يلا'، وعلى أخرى من فخار منطقة 'ريبون' شواهد كتابية بخط المسند، كما أن فحص هذا الفخار، بيَّن أنه يعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد تقريبًا، ومما لاشك فيه أن وجود الكتابة في كلتا المنطقتين، يؤكد على انتشارها في مناطق أخرى من اليمن القديم في هذه الفترة. كما أن شكل الخط الذي دونت به تلك الشواهد، يشير بوضوح إلى أن الكتابة قد مرت بمرحلة تكوين طويلة، قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، قد تصل إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، ومما يزيد الأمر تأكيدًا أن السلع التجارية اليمنية مثل 'البخور، والمرّ، والقرفة، وغيرها'، كانت قد ظهرت في

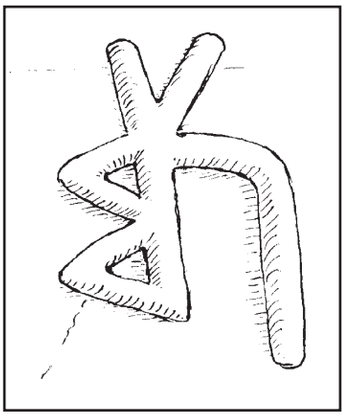

(شكل ٥) مونوجرام من موقع هجر بن حميد على كسرة فخار، القرن العاشر قبل الميلاد.

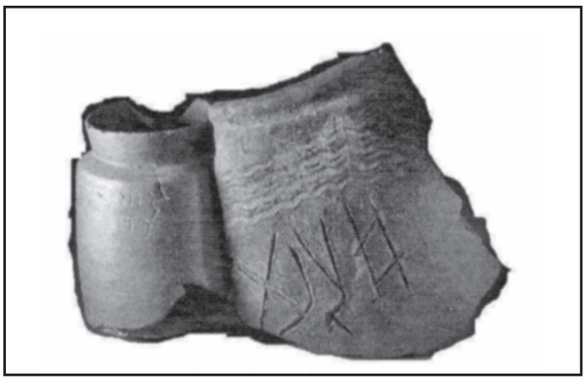

(شكل ٦) كسرتا فخار من منطقة يلا جنوب مارب— القرن الثاني عشر قبل الميلاد— المتحف الوطني بصنعاء.

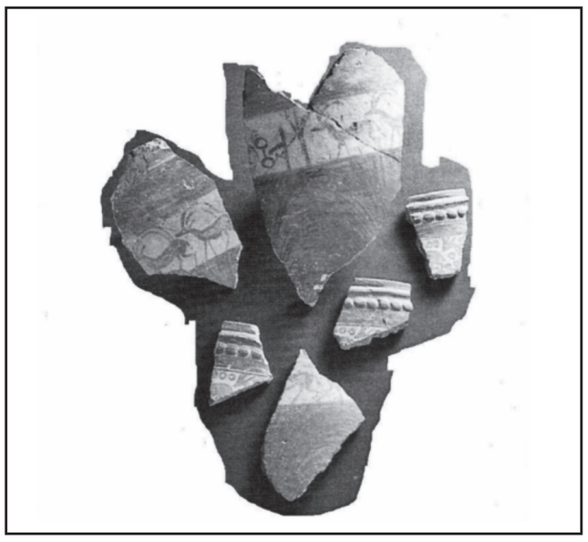

(شكل ٧) كسرات من الفخار من منطقة ريبون بحضرموت— القرن الثاني عشر قبل الميلاد— متحف سيئون.

أسواق المناطق الواقعة شرق الجزيرة العربية على الخليج العربي وأسواق شمال الجزيرة العربية حول البحر الأبيض المتوسط في مُنْتَصَف الألف الثاني قبل الميلاد.

أما بالنسبة لتطور خط المسند فإن المتتبع للكتابات المنشورة يدرك أن خط المسند قد شهد تطورًا محسوسًا خلال الفترة التي تغطيها هذه الكتابات، واستنادًا إلى أشكال الحروف وأسلوب كتابتها، يمكن تمييز ثلاث مجموعات من كتابات المسند تنتمي إلى ثلاث مراحل تاريخية متعاقبة، تتداخل كتابات كل مرحلة مع كتابات المرحلة التي تليها:

- كتابات المرحلة الأولى الممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد حتى بداية القرن الثاني قبل الميلاد تقريبًا، لم تكن أبعاد حروف كتاباتها الأولى قد ثبتت بعد؛ فيلاحظ عليها عدم الاتساق في ارتفاع الحروف وقلة الانسجام في مظهرها العام (شكل ٨). ثم بلغ الخط في كتابات عهد مكاربة سبأ كماله، واتخذ مظهرًا هندسيًّا بارزًا، اتسم بالتناسق الدقيق بين الحروف والبساطة التقليدية في آن واحد، وتميزت حروفها بالاستطالة والخطوط المستقيمة والزوايا القائمة والبعد عن أي زخرف، واستعمال الخط الغائر (شكل ٩)، واستمرت أشكال الحروف هكذا، حتى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد.
- كتابات المرحلة المتوسطة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعد الميلاد تميزت أشكال حروفها بالميل إلى الزخرفة، واستبدال الخطوط المستقيمة بخطوط تميل إلى الانحناء،

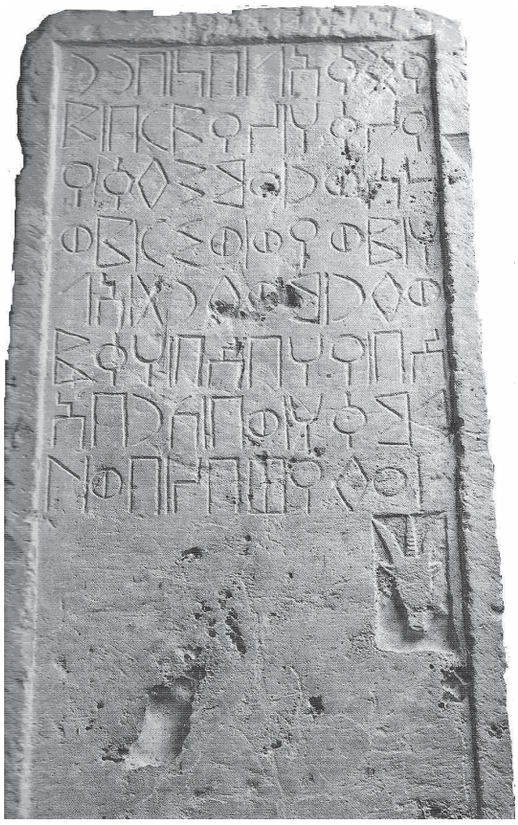

(شكل ٨) كتابات المسند من القرن الثامن قبل الميلاد ، المتحف الوطني بصنعاء.

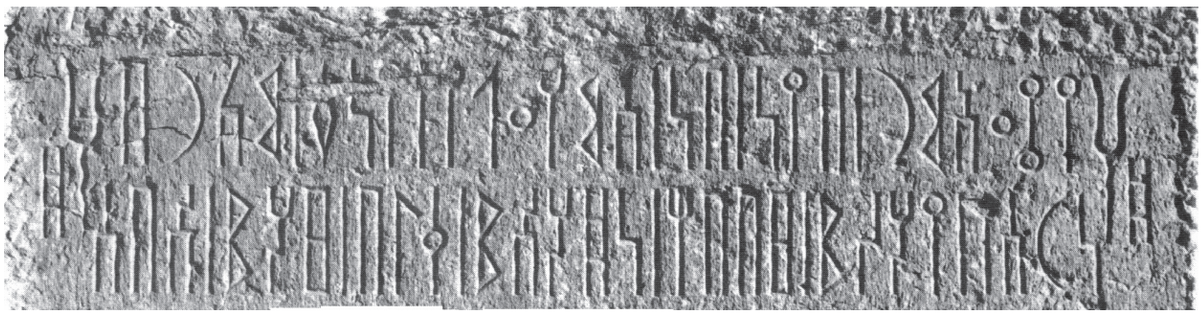

(شكل ٩) كتابات المسند من أواخر القرن الثامن قبل الميلاد .

وحلت الزوايا الحادة مكان الزوايا القائمة، واتسعت نهايات الحروف، وزينت بمذنبات زيادة في الزخرفة والتأثير الفني (شكل ١٠، ١١). واستعمل الخط الغائر، الذي استعمل في كتابات المرحلة السابقة.

- في كتابات المرحلة المتأخرة، الممتدة من القرن الرابع الميلادي إلى القرن السادس الميلادي، فقد استعمل في تدوين حروفها أسلوب الخط النافر، وغلب على حروفها مظهر الزخرف والمبالغة فيه إلى حد أفقد الحروف في بعض الكتابات وضوحها.[٢٠] (شكلا ١٢، ١٣).

إن هذا التطور المحسوس، الذي شهده خط المسند، قد أضعف الرأي القائل بأن خط المسند يتصف بصفة المحافظة على الأشكال الهندسية وكراهية التطور السريع،[٢١] ويزيد هذا الاستنتاج قوة، أن خط الزبور خط لين وسريع، وهو من خط المسند، تميز بإمكاناته المتعددة في التوصيل والحركة السريعة والتشكل بحسب قدرات الكاتب، وسهولة كتابته على جريد نخل لين، أو خشب

(شكل ١٠) كتابات المسند من القرن الأول الميلادي، المتحف الوطني بصنعاء .

(شكل ١١) كتابات المسند من القرن الثاني الميلادي، المتحف الوطني بصنعاء .

(شكل ١٢) كتابات المسند من أوائل القرن الثالث الميلادي .

(شكل ١٣) نقش من ظفار ٥١٠م، متحف ظفار .

مماثل، وكذلك الخط الحبشي المأخوذ من خط المسند بأشكال سريعة التشكل والتطور بسهولة ويسر مكنه من البقاء قيد الاستعمال حتى اليوم، وهذه سمات تشير إلى التطور السريع لخط المُسْنَد.

علاقة خط المسند بالخطوط الأخرى

دلت الدراسات التاريخية والآثارية على أن هناك جماعات كثيرة من سكان جنوب الجزيرة العربية، بدأت بالهجرة إلى الحبشة، منذ أوائل الألف الأول قبل الميلاد، والاستقرار بالتدريج هناك والاختلاط بالسكان المحليين. وكانت تلك الجماعات، قد حملت معها لغتها، وديانتها، وثقافتها ومعاشها إلى مستقراتها الجديدة في الحبشة؛ فتأثر بها السكان المحليون، وغلبت على حياتهم وطبائعهم.[٢٢] ونتيجة لذلك نشأت بينهم لغة مشتركة، تميزت في بداية أمرها بغلبة خصائص لغة القادمين من جنوب الجزيرة العربية، على خصائص لغة السكان المحليين. كما لاحظ علماء النقوش القديمة أن سكان الحبشة دونوا نقوشهم باللغة المشتركة وبخط المسند.[٢٣] ثم اتخذوا بعد ذلك من خط المسند خطًا خاصًا بهم، تميز بأشكال كتابية مدورة تناسب تدوينها حفرًا في مواد صلبة باستعمال أزميل ومطرقة، وتناسب حركة اليد عند الكتابة على مواد لينة بجرة قلم (شكل ١٤). كما أن الأحباش ميزوا خطهم بإضافة رموز تعبر عن صوائت سبعة هي o, e, a,ʾ i, u ʿ، وبتغيير اتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين، تأثرًا باليونان إلا أنهم لم يحذوا حذو اليونان في وضع رموز للصوائت ضمن الحروف، بل اكتفوا بإلصاق هذه الرموز بالحروف الحبشية نفسها. كما أنهم استحدثوا رمزين للتعبير عن صوتين، لم تعرفهما لغة جنوب الجزيرة العربية وهما () و(T). وفي الوقت نفسه، خلت الكتابة الحبشية من رموز تعبر عن حروف أربعة 'ث ذ س غ' موجودة في لغة جنوب الجزيرة. ومن خلال ما سبق عرضه، نستطيع القول بأن هناك صلة وثيقة بين لغة الحبشة وخطها وبين

الحبشي	المُسْنَد	الصوت
		أ
		ب
		ج
		د
		هـ
		و
		ز
		ح
		خ
		ط
		ظ
		ي
		ك
		ل
		م
		ن
		س
		ع
		غ
		ف
		ص
		ض
		ق
		ر
		ش
		ت

(شكل ١٤) مقارنة كتابة المسند بالكتابة الحبشية.

لغة جنوب الجزيرة العربية وخطها المسند، وهي صلة الفرع بالأصل.

وبالنسبة للعلاقة بين كتابات المسند والكتابات العربية الشمالية القديمة (الثمودية، واللحيانية، والصفوية)، فإن الناظر في جدول حروفها ورموزها، يدرك أن هناك تشابهًا كبيرًا بينها (شكل ١٥). والثابت لدى علماء النقوش القديمة أن حروف لغة النقوش العربية الشمالية، ولغة النقوش العربية الجنوبية متطابقة لكونهما تنتميان إلى أصل عربي واحد، عُرفَ اصطلاحًا بالفرع السامي الجنوبي، وأن الخطوط التي استعملها الثموديون، واللحيانيون، والصفويون في تدوين نقوشهم هي خطوط مشتقة من خط المسند. ويعزى هذا إلى أن النقوش العربية الجنوبية أقدم المجموعتين لأن كتابة المسند ترقى إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أو قبل ذلك بكثير، في حين أن كتابة النقوش العربية الشمالية القديمة ترقى إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد تقريبًا. بالإضافة إلى تواجد جماعات كثيرة من سكان جنوب الجزيرة العربية بشكل متواصل في مناطق التجارة وغيرها في نجد والحجاز وشرق شبه الجزيرة العربية وشمالها، منذ الألف الثاني قبل الميلاد، والتعامل مع السكان المحليين واختلاطهم بهم.

يبقى–بعد التسليم بأن خط المسند هو أصل الخطوط السامية الجنوبية (الثمودي، واللحياني، والصفوي، والحبشي)– أن نبحث في مسألة العلاقة بين خط المسند والخطين الفينيقي والسينائي، من خلال:

١– عدد حروفها،

٢– مقارنة أشكال حروفها لمعرفة مدى الشبه والاختلاف بينها،

٣– تاريخ هذه الخطوط، لمعرفة أي الخطوط أقدم من الخطوط الأخرى،

٤– أي خط مأخوذ من الآخر.

بالنسبة لخط المسند والخط الفينيقي، فإن الناظر في جدول الخطين، يلاحظ أن عدد الحروف الفينيقية ٢٢ حرفًا في حين أن عدد حروف المسند ٢٩ حرفًا، أي بزيادة سبعة أحرف، ويُلاحظ أن هناك تشابهاً في أشكال الحروف 'ج ل ن ع ش ت' فقط، واختلافًا في

الصوت	لحياني	صفوي	ثمودي	المُسْند
أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث				

(شكل ١٥) مقارنة كتابة المسند بالكتابة الثمودية والصفوية واللحيانية.

الحروف الأخرى (شكل رقم ١٦). ولما كان عدد الأشكال المختلفة في الفرعين، أكبر بكثير من عدد الأشكال المتشابهة أو المشتركة، ضعف احتمال كون أشكال خط المسند مأخوذة من أشكال الخط الفينيقي. ويزيد هذا الاستنتاج قوة، أن أقدم الشواهد الكتابية بخط المسند، ترقى إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهو

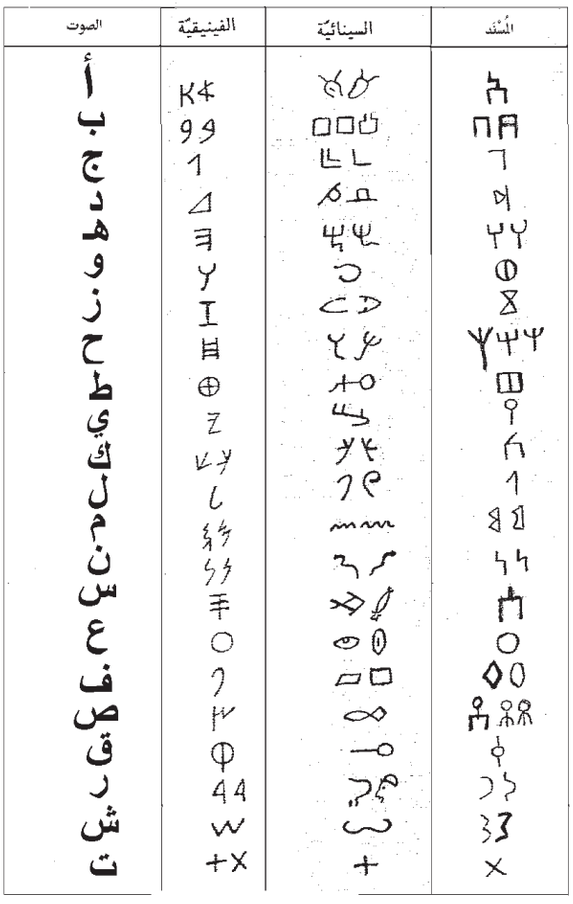

(شكل ١٦) مقارنة كتابة المسند بالكتابة الفنيقية والكتابة السينائية.

تاريخ أقدم كتابة فينيقية معروفة. وأنها تشير إلى أن خط المسند قد مرَّ بمرحلة تكوين قبل هذا التاريخ، لا نعرف مداها، وقد تصل إلى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد. لكنَّ الأشكال المشتركة 'ج ل ن ع ش ت'، بين خط المسند والخط الفينيقي، قد تدُل على أن هناك أصلاً أوليًّا –كما يقول رمزي بعلبكي وجاردنر[٢٤]– يتصل به الفرعان، سواء أكان هذا الاتصال مباشرًا، أم غير مباشر، وعند البحث عن الأصل المشترك الذي أُخِذَ عنه الفرعان لابد من أن نلحظ النقوش السينائية، التي قد تكون هي نفسها الأصل المشترك المباشر لكلا الفرعين، أو أنها قريبة من هذا الأصل أو متفرعة عنه بطريقة ما.[٢٥]

والنقوش السينائية عثر عليها في موقع سرابيط الخادم جنوب شبه جزيرة سيناء بين عامي ١٩٠٤ و١٩٠٥، وعددها أحد عشر نقشًا، وهي المجموعة التي اشتملت على الأبجدية، واختلف العلماء في تحديد فترة كتابة هذه النقوش، إذ إن جاردنر يرجعها إلى القرن الثامن عشر، أو القرن السابع عشر قبل الميلاد،[٢٦] ويرجعها درايفر إلى ما بين القرنين السابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد.[٢٧] ويرجعها جلب إلى الفترة ما بين القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد.[٢٨] أما ألبرايت، فيرجع كتابتها إلى الفترة ١٥٥٠ و١٤٥٠ ق.م.[٢٩] ومهما يكن من اختلاف آراء العلماء في تحديد فترة كتابة هذه النقوش أو في القوم الذين كتبوها، فإن الرأي الشائع أنها كتبت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وأنها انطوت على أبجدية من ٢٢ حرفًا، وأغلب حروفها مدونة بأشكال تصويرية.

والناظر في جدول الخط السينائي والخط الفينيقي، يلاحظ أن هناك تشابهًا بين الخطين في أشكال الحروف 'أ ل م ن ع ع ق ر ش ت'، واختلافًا في أشكال الحروف الباقية (شكل ١٦). وبالمثل فإن خط المسند يشترك مع الخط السينائي في أشكال الحروف 'ب ر ح ل م ن ع ش ت'، ويختلفان في أشكال الحروف الأخرى. والسبب يرجع إلى أن أغلب أشكال الحروف السينائية، هي أشكال تصويرية، في حين أن أشكال حروف الخطين الفينيقي والمسند أشكال بعيدة عن التصوير إلى حد كبير، ومع أن أشكال حروف الخط السينائي تصويرية، إلا أنها رموز أبجدية مثل الأبجدية الفينيقية والفبائية المسند مع احتواء هذه الأخيرة على رموز لا توجد في الخطين الفينيقي والسينائي، لكنَّ الاختلاف بين الخطين المسند والفينيقي وبين الخط السينائي في عدد من أشكال الحروف يدل بوضوح على أن هذا الأخير ليس هو الأصل المشترك الذي أخذ عنه الفرعان الشمالي والجنوبي. كما أن الشبه الكبير في بعض أشكال الحروف بين الخطين المسند

والفينيقي وبين الخط السينائي، لا يمكن رده إلى التوارد والمصادفة بل إنه شبه يشير إلى وحدة الأصل الذي أخذت عنه هذه الخطوط الثلاثة، ولعلَّ الأيام تكشف لنا عن نقوش سينائية أخرى، أو نقوش غيرها من الموقع نفسه، أو من موقع قريب تقدم لنا معلومات تقوي هذا الاستنتاج، أو تكشف لنا عن النموذج المشترك الذي يعد صلة الوصل بين الكتابة التصويرية والكتابة الأبجدية السَّامية، ونعني بها 'أ ب ج د هـ و ز.....'. أما بالنسبة للحروف السبعة وأشكالها التي احتوت عليها كتابة المسند دون الفينيقية والسينائية، وهي حروف من اللغة السامية الأم، فبحاجة إلى دراسة خاصة بها.

ونستكمل مَسألة علاقة خط المسند بالخطوط الأخرى، بالبحث في علاقة ألفبائية المسند ولغته بالألفبائية الأوجاريتية ولغتها. لأنه لا مجال للبحث في علاقة خط المسند بالخط الأوجاريتي لكون الثاني استخدم الرموز المسمارية، التي لا تمت إلى رموز خط المسند بصلة (شكل ١٧). وتجدر الإشارة إلى أن أعمال الحفر والتنقيب في منطقة رأس شمرة (أوجاريت قديمًا)

الصوت	الالفبائية الاوجاريتية	الفبائية المسند	الالفبائية الاوجاريتية	الفبائية المسند	الصوت
أ		𐩱		𐩠	ذ
ب		𐩲		𐩡	ن
ج		𐩳		𐩢	ظ
خ		𐩴		𐩣	س
د		𐩵		𐩤	ع
هـ		𐩶		𐩥	ف
و		𐩷		𐩦	ص
ز		𐩸		𐩧	ق
ح		𐩹		𐩨	ر
ط		𐩺		𐩩	ث
ي		𐩻		𐩪	غ
ك		𐩼		𐩫	ت
ش		𐩽			إ
ل		𐩾			أ
م		𐩿			(س)

(شكل ١٧) مقارنة الفبائية المسند بالألفبائية الأوجاريتية.

الواقعة شمال اللاذقية في سوريا عام ١٩٢٩ كشفت لنا عن مجموعة كبيرة من ألواح طينية، انطوت على كتابات أوجارتية تميزت بعَدد من السّمات، أهمها:[٣٠]

١– أن لغتها سامية غربية،

٢– أنها كتابة ألفبائية دُوّنتْ برموز مسمارية،

٣– أنها تحتوي على ثلاثين رمزًا،

٤– أنها كتابة استمرت من القرن الرابع عشر حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد،

٥– أن كتابتها تقرأ من اليسار إلى اليمين،

٦– يفصل بين الكلمة والأخرى بمسمار صغير أو خط بسيط.

كما أن أعمال الحفر والتنقيب في رأس شمره كشفت لنا عن نقش كامل عام ١٩٤٩ يحتوي على الترتيب الألفبائي للحروف الأوجاريتية كاملة.[٣١] ويتألف النقش من ثلاثة أسطر، وترتيبها كالآتي:

١– أ ب ج خ د هـ و ز ح ط ي ك ش ل

٢– م ذ ن ظ س ع ف ص ق ر ث

٣– غ ت إ أ س

وقد ظهرت نظريات ثلاث حول الأصل الذي جاءت منه الكتابة الأوجاريتية، انقسم العلماء حولها بين مؤيد ومعارض. فأرجعت النظرية الأولى الكتابة الأوجاريتية إلى الأصل الأكادي، وأرجعتها النظرية الثانية إلى الأصل السينائي. أما النظرية الثالثة، فقد أرجعتها إلى الأصل السامي الجنوبي. ولكل واحدة من هذه النظريات حججها وبراهينها التي استندت إليها. ولا يهمنا هنا مناقشة هذه النظريات، بقدر ما يهمنا البحث في علاقة كتابة المسند بالكتابة الأوجاريتية من خلال سمات مشتركة بينهما، ننفذ منها إلى هذه العلاقة:

١– الكتابة الأوجاريتية ألفبائية عددها (٣٠) حَرفًا، وليست أبجدية عددها (٢٢) حرفًا. وكتابة المسند ألفبائية وعددها (٢٩) حرفًا. وليست أبجدية. تنفرد الأوجاريتية دون الأخرى بالحركات الثلاث (الفتح، والكسر، والضم) على حرف الألف 'إِ'، 'أَ'، 'أُ'. وتنفرد كتابة المسند دون الأخرى بحرف واحد فقط هو (س). أي أن الكتابتين تشتركان في النسق الألفبائي.

٢– تشترك الكتابة الأوجاريتية مع كتابة المسند في حروف خمسة، هي: 'ث خ ذ ض ظ غ'، وهي من حروف اللغة السامية الأم، التي احتفظت بها الأوجاريتية، وكتابة المسند، والنقوش العربية الشمالية القديمة والعربية الفصحى، دون غيرها من اللغات السامية الأخرى.

٣– تشترك كتابات المسند مع الكتابات الأوجاريتية في وفرة الأصوات، وأنَّ كلاً منهما تفرق في النطق والرمز بين صوتي (الثاء)، و(التاء)، وبين صوتي (الثاء)، و(الشين)، وبين صوتي (الذال)، و(الدال)، وبين (الذال)، و(الزين)، وتفرق بين صوتي (العين)، و(الغين) وهكذا.

٤– يلحق حرف الميم الزائد نهاية أسْماء الأعلام في كتابات المسند والكتابات الأوجاريتية، ويفصل بين الكلمة والأخرى بخط مستقيم في كتابة المسند، ويفصل بمسْمار صغير، أو بخط بسيط في الكتابة الأوجاريتية.

٥– دلت القرائن على أن الكتابة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كانت منتشرة في جنوب الجزيرة العربية، وهي الفترة التي كتبت بها النقوش الأوجاريتية.

٦– هناك خصائص لغوية نحوية، وصرفية، ومعجمية مشتركة بين لغة نقوش المسند ولغة النقوش الأوجاريتية يمكن التعرف عليها من خلال الدراسات والبحوث التي أُجريت على هذه اللغة.

هذه السمات المشتركة بين نقوش المسند ولغة النقوش الأوجاريتية، لا يمكن ردها إلى التوارد والمصادفة، بل إنها تشير إلى صلة قوية بين اللغتين، وبالتالي بين الأوجاريتيين والعرب الجنوبيين، ولعلَّ اكتشافات جديدة في المستقبل قد توفر لنا معلومات توضح طبيعة هذه الصلة ان شاء الله.

الخاتمة

يستخلص من البحث النتائج الآتية:

١- خلف اليمنيون القدماء نوعين من الكتابات هما: كتابات المسند وكتابات الزبور.

٢- دونت كتابات المسند حفرًا على الحجارة، والصخر، والمعادن، والفخار. وهذا النوع من الكتابات كان مخصصًا للأغراض التوثيقية التذكارية.

٣- تدوين كتابات المسند على حجارة وتثبيتها في أسوار المدن، والمعابد، ومنشآت الري وتدوينها على الصخر في الجبال بعيدًا عن أيدي العابثين بها غايته الإشهار والتخليد.

٤- أن الاسم 'مسند' لا يعني مجرد 'نقش' أو 'نص' عادي، بل يعني 'نقش توثيقي'، أو 'وثيقة'، والجذر 'س ن د'، يعني 'وثَّق، عَضَدَ، دعَمَ'، ولا يعني 'دوَّنَ، كتبَ'.

٥- دونت كتابات الزبور حفرًا بالكتابة اليدوية على جريد النخل وأعواد من خشب آخر مناسب. وهذا النوع من الكتابات كان مخصصًا لأغراض المعاملات اليومية بين الناس والمراسلات بينهم؛ وغيرها.

٦- خط الزبور نفسه هو خط المسند ولكن بأشكال لينة وسريعة تناسب حركة يد الكاتب وقدرته في تشكيله على مواد لينة.

٧- شهد خط المسند تطورًا محسوسًا خلال الفترة التاريخية، التي ترجع إليها النقوش المنشورة. وهذا ينفي الوهم لدى بعض الباحثين بأن خط المسند يُدَوَّن بأشكال هندسية متناسقة غير قابلة للتطور.

٨- أن خط المسند هو الأصل الذي أخذت منه خطوط النقوش العربية الشمالية القديمة 'الثمودية، واللحيانية، والصفوية'، والخط الحبشي.

٩- دلت الشواهد الكتابية على أنَّ خط المسند كان منتشرًا في جنوب الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وقبل ذلك، وهو تاريخ أقدم كتابة فينيقية.

١٠- خط المسند ليس مأخوذًا من الخط الفينيقي أو الخط السينائي، بل إنَّ الخطوط الثلاثة ترجع إلى أصل كتابي مشترك، قد يكون هو صلة الوصل بين الكتابة التصويرية والكتابة المتطورة عنها.

١١- هناك سمات مشتركة بين لغة كتابات المسند ولغة الكتابات الأوجاريتية، في النسق الألفبائي، ووفرة الأصوات، وأسلوب الفصل بين الكلمة والأخرى، وفي زيادة حرف الميم في آخر أسماء الأعلام، وفي عدد من الخصائص اللغوية، والنحوية، والصرفية، والمعجمية.

هذه السمات والخصائص المشتركة تدل على صلة وثيقة بين لغة المسند واللغة الأوجاريتية، وبين الأوجاريتيين والعرب الجنوبيين. والمزيد من الاكتشافات النقشية وغيرها في المستقبل، يمكن أن توضح طبيعة هذه الصلة إن شاء الله.

الهوامش

١ ديوان امرئ القيس (ب.ت).

٢ ابن دريد، كتاب جمهرة اللغة، ج١، (القاهرة، ١٩٧٠)، ٢٥٤.

٣ الحسن بن أحمد الهمداني، كتاب الإكليل، ج١، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، (القاهرة، ١٩٦٣)، ٩، ١٣؛ ج ٨، (القاهرة، ١٩٧٩)، ١٣. انظر كذلك:

Ibrahim al-Selwi, *Jemenitische Worter in den Werken Von al-Hamdani und Naswan und ihre parallelen in den semitischen sprachen*, (Berlin,1987), 113-114.

٤ الهمداني، كتاب الإكليل، ج ٢٤٠،٨.

٥ الهمداني، كتاب الإكليل، ج ٢، ٣، ٣٠٤.

٦ الهمداني، كتاب الإكليل، ج ١٠، ٣٠.

٧ الهمداني، كتاب الإكليل، ج ١٠، ١١١.

٨ الهمداني، كتاب الإكليل، ج ١٠، ١٥.

٩ الهمداني، كتاب الإكليل، ج ١٠، ١٢٨.

١٠ ابن دريد، كتاب جمهرة اللغة، ج ١٢، ٩١؛ ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، ١٩٩٦)، مادة (س ن د)؛ انظر كذلك:

al-Selwi, *Jemenitische Worter in den Werken*, 114.

١١ نشوان بن سعيد الحميري، منتخبات من كتاب شمس العلوم، تحقيق عظيم الدين أحمد، (ليدن، ١٩٦١)، ٥٤؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمد الطناحي، (القاهرة، ١٩٧٩)، ج٢، ٤٠٨.

١٢ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (القاهرة، ١٢٨٤هـ)، ج١، ٣٤٩.

١٣ ابن دريد، كتاب جمهرة اللغة، ج ١، ٢٥٤؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ٢٩٣؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ز ب ر)؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت، ١٩٦٩)، مادة (زب ر)؛ انظر كذلك:

al-Selwi, *Jemenitische Worter in den Werken*, 113.

١٤ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذ ب ر)؛ الزبيدي، تاج العروس؛ مادة (ذ ب ر)؛ انظر كذلك:

al-Selwi, *Jemenitische Worter in den Werken*, 91.

١٥ Yousef Abdallah, 'ein altsudarabischer vertragstext von neuentdeckten Inschriften auf Holz' in *ARABIA FELIX, Beitrage zur Sprache und Kultur des vorislamischen Arabien, Festschrift Walter W. Mijller zum 60 Geburtstag*, (Wiesbaden, 1994), 2.

١٦ ريكمنز وآخرون، نقوش خشبية قديمة من اليمن، (لوقان، ١٩٩٤)، ٧، ١٠–١١.

١٧ خليل الزبيري، الإله عثتر في ديانة سبأ، دراسة من خلال النقوش والآثار، (رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٠)، ١٠٩–١١١.

١٨ al-Selwi, *Jemenitische Worter in den Werken*, 103.

١٩ S. Frankel, *Die aramaischen Fremdworter im Arabischen*, (Leiden, 1886), 248; Horovitz. K.U.. s.69; Ahmad Hebbo, *Die Fremd worter in der arabischen prophetenbiographie des ibn Hischam*, (Heidelberg, 1970), 146.

٢٠ Beek, van *Hajar bin Humeid*, 250, 266, 354.

٢١ A.F.L. Beeston, *Sabaic Grammar*, (Manchester, 1984), 6.

٢٢ رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، (بيروت، ١٩٨١)، ١١١.

٢٣ Hermann Von Wissmann, *zur Geschichte und landeskunde von Alt-sudarabien*, (wien 1964), 33-35;
عبدالله الشيبه، المقابلات الصوتية بين الجعزية والعربية، مجلة الإكليل، العددان ٢٩، ٣٠ يناير–مارس، (صنعاء، ٢٠٠٦)، ٦٣.

٢٤ Wissmann, *zur Geschichte und landeskunde von Alt-sudarabien*, 35; Beeston, *Sabaic Grammar*, 5.

٢٥ رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ١١٧.

٢٦ رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ١١٨.

٢٧ A.H. Gardiner, 'The Egyptian origin of the Semitic Alphabet', *JEA* 3, 12-14.

٢٨ G.R. Driver, *Semitic Writing: from pictograph to Alphabet*, (London, 1976), 98.

٢٩ I.J. Gelb, *Study of writing*, (Chicago, 1965), 122-125.

٣٠ W.F. Albright, *The protosinaitic Inscriptions and their Decipherment*, (Harvard, 1969), 6-9;
رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ١٨–١٩.

٣١ رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ٢٨٧؛ سليمان الذييب، الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، (بيروت، ٢٠٠٧)، ١١٨–١١٩.